المحاضرة الاولى: علم الاجتماع، وموضوعه.

1_ تعريف علم الاجتماع.

تعددت التعاريف التي قدمها العلماء والباحثون في علم الاجتماع باختلاف وجهات نظرهم، وزاوية معالجتهم للقضايا الاجتماعية التي اهتموا بها في مجتمعاتهم، وهذا الاختلاف زاد من إثراء هذا العلم وازدهاره، وفيما يلي نعرض أفكارهم أهم هؤلاء الرواد المؤسسين لهذا العلم.

فلقد أدرك "سان سيمون saint simon" (1760-1825) ومن بعده "أجوست كونت A.comt (1798- 1857) ضرورة إيجاد علم جديد يدرس الظواهر الاجتماعية بطريقة علمية دقيقة، أسماه الأول "الفيسيولوجيا الاجتماعية"، وأسماه الثاني في بداية تشكيله "الفيزياء الاجتماعية"، وهي تسمية استخدمها توماس هوبس T.Hobbes" (1588_1679) من قبله بكثير[1]، وهي التسمية نفسها التي استخدمها البلجيكي "أدولف كتلي Adolphe Quételet" (1796-1874) في دراسته الاحصائية للمجال الاجتماعي، ووضعها عنوانا لكتابه:"الفيزياء الاجتماعية physique sociale"[2].

وفي هذا السياق كتب "أجوست كونت" سنة 1820 يقول:" نحن الأن نملك فيزياء فلكية، وفيزياء أرضية، وفيزياء آلية أو كميائية، كما أن لدينا فزياء نباتية وفيزياء حيوانية، لكننا ما زلنا في حاجة إلى فزياء أخرى وأخيرة تتعلق بالمجال الاجتماعي ليكتمل نظام معرفتنا بالطبيعة، وأقصد الفيزياء الاجتماعية، إنها العلم الذي يدرس الظاهرة الاجتماعية بطريقة موضوعية، الروح التي ينظر بها لظواهر الفلك أو الفيزياء أو الكيمياء أو الفيسيولوجيا، أي أن تخضع الظواهر الاجتماعية لقوانين ثابتة، كما أطلق كارل ماركس على هذا العلم اسم "علم المجتمع Science of society" وكان ذلك بعد تسمية أوجوست كونت الذي اقترح تسمية جديدة لمشروعه العلمي الجديد كي يكون مختلفا شكلا ومضمونا عن مقترح "كيتلي"، بذلك ظهرت هذه الكلمة "علم الاجتماع sociologie"، بعدما كانت في السابق الفيزياء الاجتماعية[3]

ثم تبع ذلك "جيدنجر Giddinge" الذي وافق على تسمية "كونت" مع تعديله ليكون الاسم "علم الاجتماع الاستقرائي Inductive Sociology" وسار العالم الفرنسي "رينيه مونيه R. Maunier" على

---

1 عبد الهادي محمد الوالي، **المدخل إلى علم الاجتماع**، دار المصطفى للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002. ص 17

2 خواجة عبد العزيز، **أساسيات في علم الاجتماع**، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، غرداية، 2012، ص110.

3 نفس المرجع، ص110.

نفس الطريقة فوافق على تسمية "كونت" مع اقتراحه تعديل الاسم ليكون علم الاجتماع المقارن Conpartive Sociology.[4]

وسبقهم جميعا المفكر العربي عبد الرحمن ابن خلدون بأربعة قرون في كتابه "العبر" الذي عرف بعد ذلك باسم "مقدمة ابن خلدون"، وفي هذا الكتاب أطلق على هذا العلم اسم "العمران البشري" أو الاجتماع الانساني، فساهم في تطوير علم الاجتماع في العالم العربي، وأدرك أنه لابد من منهج يبين الصادق من الكاذب من الأخبار التاريخية، ومن ثم كانت مقدمته التي يناقش فيها طبائع العمران البشري، وقوانين المجتمع الانساني، والتي كتب لها من الشهرة مالم ينله الكتاب الاصلي في التاريخ، فلقد عالج ابن خلدون في هذه المقدمة معظم القضايا والمشكلات التي تعالج حتى الأن في إطار علم الاجتماع، لكن عمل ابن خلدون لم يكتب له الاتصال والاستمرار، ذلك لأنه قد واكب سقوط الحضارة العربية والاسلامية وصعود الحضارة الغربية، يضاف إلى ذلك الحواجز اللغوية والثقافية التي أخرت تعرف المفكرين الغربيين على أعمال ابن خلدون وانجازاته، ولذلك فإن نشأة علم لاجتماع في الغرب كانت مستقلة عن نشأته في الشرق[5].

وكانت النشأة الغربية لعلم الاجتماع على يد "أوجست كونت" مرتبطة أشد الارتباط بظروف التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري التي كان يمر بها المجتمع الأوروبي في ذلك الوقت بحيث نستطيع أن نقول أن علم الاجتماع الغربي بكافة اتجاهاته وفروعه النظرية قد تطور استجابة للتطورات والمشكلات الاجتماعية في مرحلة الانتقال من النظام القدم إلى النظام الجديد[6].

وبالتالي فكلمة "السوسيولوجيا أو علم الاجتماع sociologie " ظهرت على يد الفرنسي "أوجوست كونت" سنة 1830 في الدرس السابع والأربعين (47) من كتابه "دروس في الفلسفة الوضعية cour de philosophie positive" فلفظة sociologie مكونة من شقين:

Socio: اشتقت من الكلمة اللاتينية Sosius، التي تعني: المرافق (Compangnon).

Logie: اشتقت من الكلمة الإغريقية Logos التي تعني: الخطاب أو العقل.

---

4 عبد الهادي محمد الوالي، نفس المرجع، ص 17

5 محمود عودة، **أسس علم الاجتماع**، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1995، ص71.

6 نفس المرجع، ص71.

وباجتماع الكلمتين نحصل على العلم الذي يهتم بالعلاقة الموجودة بين فردين فأكثر[7].

وبذلك يكون مفهوم علم الاجتماع هو علم المجتمعات البشرية، أو علم دراسة مجتمع الإنسان أو مجتمع الفرد والجماعة، أو دراسة الظواهر أو الوقائع أو الحقائق أو العمليات الاجتماعية، في ضوء رؤية علمية وضعية وتجريبية، وبعد ذلك استقل علم الاجتماع عن الفلسفة مع إميل دوركايم Émile Durkheim، بعد صدور كتابة (قواعد المنهج في علم الاجتماع) سنة 1895م[8].

وهكذا يتضح أنه هناك خلاف كبير حول تسمية علم الاجتماع، رغم ما أشرنا إليه من أن تسمية "أوجست كونت" قد استقرت حتى يومنا هذا، وانتشرت في سائر الأوساط العلمية، ويرجع هذا الخلاف من ناحية إلى أن كل تسمية أطلقت على علم الاجتماع اعتمدت على تصور كل عالم من العلماء لموضوع العلم[9].

وقدم علماء الاجتماع والباحثين والمختصين في هذا العلم مجموعة من التعاريف نذكر منها:

ـ أوجوست كونت: "العلم الذي يدرس النظم الاجتماعية على الحالة التي بدت فيها، والتطورات حدثت لها فيما بعد".

ـ ايميل دوركايم:" علم دراسة النظم الاجتماعية".

ـ رونيه مونيه: "الدراسة الوصفية المقارنة التفسيرية للمجتمعات الانسانية حسب ما تسمح به مشاهدتنا في الزمان والمكان"

ـ جورج زيمل George simmel : "علم دراسة الأفعال الفردية التبادلية".[10]

---

7 خواجة عبد العزيز، **أساسيات في علم الاجتماع**، مرجع سابق، ص111.

8 جميل حمداوي، **أسس علم الاجتماع**، ط1، دنا، دب، 2015، ص06.

9 عبد الهادي محمد الوالي، مرجع سابق، ص 17.

10 خواجة عبد العزيز، **أساسيات في علم الاجتماع**، مرجع سابق، ص 111.

كما قدم "**ماكس فيبر Max Weber**" تعريفا عاما لعلم الاجتماع على أنه العلم الذي يحاول الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي Social action من أجل الوصول إلى تفسير علمي لمجرى هذا الفعل ونتائجه[11].

عرفته "مادلين غرافيتس M.Grawitz" قائلة: " علم الاجتماع هو دراسة الواقع الاجتماعي، ونظرا لكون الاهتمامات الفلسفية المنتجة حول طبيعة المجتمع، أو الأخلاقية المشكلة حول طرق تطويره، قديمة قدم التفكير الاجتماعي، والسياسي والفلسفي، فإنه بداية من اللحظة التي يتم فيها رؤية الفعل الاجتماعي في معزل عن الأحكام القيمية، تولد السوسيولوجيا باعتبارها علما"[12]

عرفه أنتوني غيدنز أنه: "العلم المعني بدراسة الحياة الاجتماعية والجماعات والمجتمعات الانسانية، إنه مشروع مذهل وشديد التعقيد لأن موضوعه الأساسي هو سلوكنا ككائنات اجتماعية، ومن هنا فإن نطاق الدراسة الاجتماعية يتسم بالاتساع البالغ، ويتراوح بين تحليل اللقاءات العابرة بين الأفراد في الشارع من جهة، واستقصاء العمليات الاجتماعية العالمية من جهة أخرى[13].

كما عرف على أنه العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية دراسة علمية بهدف الكشف عن القوانين أو القواعد أو الاحتمالات التي تخضع لها هذه الظواهر في ترددها أو اتجاهها أو اختفائها، وهو الدراسة العلمية للعلاقات التي تقوم بين الناس، ولما يترتب على هذه العلاقات من آثار[14].

ما نستخلصه هو عدم اتفاق علماء الاجتماع حول تعريف موحد وشامل لهذا العلم، نظرا لتعدد القضايا والمواضيع التي يدرسها، فكل باحث حاول تقديم تعريف له حسب تحصصه وزاوية دراسته، وهذا ما ساهم في تنوع وثراء الإرث المعرفي له، فاتحا المجال للبحث أكثر في هذا العلم.

---

11 عبد الهادي محمد الوالي، مرجع سابق، ص ص19-20.

12 خواجة عبد العزيز، **أساسيات في علم الاجتماع**، مرجع سابق، ص 111.

13 أنتوني غيدنز، **علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)**، ترجمة: فايز الصباغ،ط4، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص47.

14 محمد الجوهري، **المدخل إلى علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2007، ص07.

2- موضوع علم الاجتماع.

يندرج علم الاجتماع ضمن العلوم الإنسانية بصفة عامة، والعلوم الاجتماعية بصفة خاصة، والهدف الأساس الذي يسعى إليه هو دراسة المجتمع الإنساني بصفة عامة، ودراسة التنظيمات والجمعيات والجماعات والمؤسسات السياسية التي تنتمي إليها أو تشكلها جماعة من الأفراد بصفة خاصة، بمعنى أن علم الاجتماع يدرس الإنسان في حضن المجتمع، كالأنشطة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والتربوية[15].

من حيث الموضوع ذهب ابن خلدون إلى أن موضوع هذا العلم هو العمران البشري بما يتضمن من حوادث اجتماعية، أو وقائع اجتماعية تتصل بجميع أوجه النشاط الانساني، فللإنسان نشاطه الديني والأخلاقي والعائلي والاقتصادي والثقافي وهذه كلها أمور يدرسها هذا العلم، أما أوجست كونت فقد اهتم بتعريف الظواهر الطبيعية والكيميائية والبيولوجية وتحديد موضوعات هذه العلوم، ولكنه لم يفعل ذلك بالنسبة لعلم الاجتماع، لأنه تصور أن هذا العلم يدرس الظواهر التي لا تدرسها العلوم الأخرى والسابقة عليه في الظهور، ولذلك فإن موضوع هذا العلم عنده هو الإنسانية بأسرها، لأن كل الظواهر الإنسانية هي ظواهر اجتماعية بالدرجة الأولى، وعلى العكس من ذلك رأى "هربرت سبنسر" أن علم الاجتماع يصف ويفسر نشأة وتطور النظم الاجتماعية كالأسرة، والضبط الاجتماعي، والعلاقة بين النظم، وأن يقارن بين المجتمعات المختلفة من حيث نوعها وتطورها، كما يهتم بالبناء الاجتماعي، والوظائف الاجتماعية في المجتمع بصفة عامة، وقد جعل "اميل دوركايم Émile Durkheim من الظواهر الاجتماعية موضوعا رئيسيا لعلم الاجتماع، وحاول تحديد الخواص التي تميز هذه الظواهر عن غيرها من الظواهر الطبيعية والانسانية، وقد رأى أن لهذا العلم بالضرورة فروعا تتوازى مع الموضوعات التي يدرسها، والمجالات التي يهتم بها[16].

في نجد أن "سان سيمون" مثلا تصور أن موضوع هذا العلم هو دراسة وظائف الظواهر الاجتماعية على نفس النحو الذي تدرس به العلوم الطبيعية وظائف الظواهر الطبيعية، من هنا كان تفضيله لتسمية "الفيسيولوجيا الاجتماعية"، كما أن كارل ماركس قد تصور أن موضوع هذا العلم هو دراسة البناء الاجتماعي للمجتمع في صورة كلية، ولذلك رفض تسميته بعلم الاجتماع وأطلق عليه علم

---

15 جميل حمداوي، **أسس علم الاجتماع**، مرجع سابق، ص07

16 عبد الهادي محمد الوالي، مرجع سابق، ص 19.

المجتمع، ومن ناحية أخرى فقد كان لدى البعض الآخر تصور معين لمنهج علم الاجتماع، فقد اعتقد "جيدجينز" أن المنهج الذي يجب اتباعه في هذا العلم هو المنهج الاستقرائي الذي يتدرج فيه البحث من دراسة الملاحظات الجزئية للظواهر إلى التوصل إلى تعميمات تنطبق على عدد كبير من الظواهر الفردية، بمعنى انتقال الباحث من الخاص إلى العام، أو من الجزئي إلى الكلي أو من البسيط إلى المركب، ومن هنا فإنه يفضل إطلاق اسم علم الاجتماع الاستقرائي، أما العالم "رينيه مونيه" فقد كان يعتقد أن المنهج المفيد في الدراسات العلمية الاجتماعية هو المنهج المقارن الذي يتبع الوحدة، وكذلك فإن المقارنة في رأيه مرحلة ضرورية سابقة على التفسير، ومعنى ذلك كله أن الاختلاف في التسمية كان يرجع بالدرجة الأولى إما في تصور معين لمنهج هذا علم، وكان كل من العلماء يريد أن يكون هذا التصور متضمنا في التسمية ذاتها[17].

كما أن التغير في الثقافة وفي البناء الاجتماعي أحد ميادين الدراسة في علم الاجتماع، كما أن هناك النظم الاجتماعية وهي الأساليب المقننة والمقررة للسلوك الاجتماعي، وكذلك الشخصية وهي العامل الذي يشكل الثقافة ويتشكل من خلالها، وتدل المؤلفات التي تؤلف في علم الاجتماع وأيضا اهتمامات علماء الاجتماع البارزين على أن الموضوعات الأساسي هي باختصار كما يلي:

_ التحليل الاجتماعي ويشمل: الثقافة والمجتمع ومناهج البحث في العلوم الاجتماعية.

_ الوحدات الأولية للحياة الاجتماعية وتشمل:

_ الأفعال الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية.

_ شخصية الفرد، الجماعات، المجتمعات المحلية "الحضرية والريفية"، الروابط والتنظيمات، السكان، المجتمع.

_ المؤسسات الاجتماعية الأساسية وتشمل: الأسرة، الاقتصاد، السياسة، القانون، الدين، التعليم، الرعاية الاجتماعية، المؤسسات التعبيرية والجمالية.

17 عبد الهادي محمد الوالي، مرجع سابق، ص 18.

_ العمليات الاجتماعية الأساسية وتشمل: التمايز والطبقات، التعاون والتلاؤم والتماثل، الاتصال، الصراع الاجتماعي، الضبط الاجتماعي، الانحراف "الجريمة والانتحار.."، التكامل الاجتماعي، التغير الاجتماعي[18].

18 أحمد طاهر مسعود، **المدخل إلى علم الاجتماع العام**، ط1، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص15.